



مجموعة جامعة
الجميع الذكية
للتعليم القابضة

MIDOCEAN
UNIVERSITY



المداخل النظرية الجديدة المستخدمة في الإعلام الرقمي Theoretical approaches Used in Digital Media

مقرر نظريات الاتصال الإعلامي

المحاضرة التاسعة

إعداد

د / شيرين فاروق ربيع

كود المقرر: DGM 122

"المحاضرة التاسعة"

المداخل النظرية الجديدة المستخدمة في الإعلام الرقمي

Theoretical approaches Used in Digital Media

■ المحاضرة السابقة (الثامنة) تحدثنا فيها بشكل مفصل حول النقاط التالية:

- مفهوم العنف.
- دور وسائل الإعلام في انتشار العنف Media Violence
- نظريات مفسرة للعنف الإعلامي، نظرية (التنفيس، الاستثارة، التدعيم، التعليم " التعلم بالملاحظة، التوحد، التحفيز، التعزيز).
- عوامل انتشار العنف الإعلامي، وحُجج المسوقين له.
- عوامل مواجهة العنف الإعلامي.



➤ المحاور الرئيسية:-

- تمهيد.
 - نظرية المجال العام
 - نظرية ثراء الوسيلة
 - الخاتمة.
 - قائمة المصادر والمراجع.
- Public Sphere Theory
- Media Richness Theory

■ تمهيد.

أدت ثورة الاتصال الرقمية إلى تغييرات كبرى في عمليات الاتصال ومكوناته، عندما انتقلت من الفعل الاتصالي الخطي إلى العملية الاتصالية التفاعلية، وغيرت بالتالي صيرورة العملية الاتصالية برمتها، وأوجدت تفاعلاً منقطع النظير، وأصبح الفرد يعيش في فضاء مفتوح يحتوي على معلومات وبيانات متوافرة بكل الأنواع وفي كل المجالات بدأت مع المدونات، ثم انتقلت إلى المنتديات، حيث لم يعد يكفي الجمهور بالقراءة والمتابعة، بل أصبح أيضاً يناقش ويتساءل ويستفسر مما أعطاها طابعاً تفاعلياً. وأصبحت وسائل الإعلام الجديدة الأسرع في استقطاب ملايين الأعضاء والمستخدمين خلال السنوات القليلة الماضية؛ الأمر الذي يعكس قدرة تلك الوسائل على تلبية الاحتياجات الاتصالية المتنوعة لمختلف فئات المستخدمين للميديا الجديدة.

فقد غيرت التطورات المتسارعة في مجال الإعلام والاتصال من طريقة تنظيم وهيكله عمل وسائل الإعلام التقليدية، وطرائق استخدامها، وأشكال تمثيلها من قبل مستخدميها. وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى التنبؤ بنهاية نظريات الإعلام الكلاسيكية كنتيجة منطقية لنهاية وسائل الإعلام التقليدية.

فنهاية نظريات الإعلام التقليدي في ظل الدعوة إلى تبني نظريات خاصة بظاهرة الميديا الجديدة ليس بهذه البساطة، فليس من الممكن وضع نهاية للإعلام الجماهيري ونظرياته نتيجة ظهور الإعلام الجديد وتطوره، فلا يمكن النظر إلى وسائط الاتصال ضمن أفق إقصائي (الجديد يقصي القديم)، ولا في إطار تكاملي (الجديد يكمل القديم)، ولا ضمن تطور تنافسي (الجديد ينافس القديم)، فالحدود الفاصلة بين الجديد والقديم في عالم الاتصال اليوم تسير نحو الإمحاء، وسيكون المستقبل لوسائط الاتصال الهجينة التي تجمع أنماط الاتصال المختلفة، (المكتوبة، والسمعية)، و(السمعية، البصرية)، مستفيدة من القديم المدغم في الجديد.

المحاضرة
التاسعة

فالتلفزيون أصبح يبت عبر شبكة الانترنت، وقراء النسخ الرقمية للصحف في تزايد مستمر، وبالتالي فإن الانتقال من وسائل الاتصال الجماهيري لم يدفع البحث العلمي في حقل (Self-Mass Media) وسائل الاتصال الفردية إلى مراجعة نظرياته وإعادة التفكير في مدى ملاءمتها مع التطورات الاتصالية الجديدة. على اعتبار أن من يستخدم الإعلام التقليدي يستخدم الإعلام الجديد كفعل مُكمل لا كفعل بديل للفعل التقليدي؛ وعليه قد يحدث تكامل بين نظريات الإعلام التقليدية والحديثة؛ نتيجة النظر إلى الإنترنت كداعم جديد لا كوسيلة جديدة تجلب أشكالاً استهلاكية مختلفة للنمط المعلوماتي وتختلف عن الأشكال التقليدية، وتعطي قدراً أكبر من الاختيار أمام مستخدميها إزاء خدمات أكثر شخصية وفردية، وتضع في الاعتبار تفرد المستهلك واختلاف تفضيلاته.

وبالتالي فإن المداخل النظرية والنظريات العلمية التي اعتمدت عليها الدراسات والبحوث في هذا المجال آخذة في الاتساع كماً وكيفاً، سواء أكان ذلك من خلال المداخل النظرية للإعلام التقليدي، أو تلك التي ترتبط بوسائل الإعلام الجديدة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهو ما يفيد بتشكيل مداخل نظرية جديدة للإعلام الجديد خلال السنوات القادمة. وتسعى هذه المحاضرة إلى التعرف على المداخل النظرية الجديدة المستخدمة في الإعلام الرقمي.

(1) نظرية المجال العام Public Sphere Theory

ظهرت نظرية المجال العام (Public Sphere Theory) كنظرية اجتماعية وسياسية على يد يورغن هابرماس (Jürgen Habermas) في كتابه "التحول البنيوي للمجال العام Structure Transformation of The Public Sphere" الذي كُتب بالألمانية عام 1962 وترجم إلى الإنجليزية عام 1989 في إطار التغيرات السياسية والاجتماعية الكبرى التي شهدتها أوروبا في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر بإنجلترا وفرنسا وألمانيا، ومع تطور الرأسمالية في أوروبا الغربية قام هابرماس ببناء النظرية البرجوازية المعروفة باسم المجال العام، معتمداً على بعض التصورات السياسية ودور المجتمع المدني المنتشر في جميع أنحاء العالم.

المحاضرة
التاسعة

ويتكون المجال العام وفقاً لرؤية هابرماس من مجموعة من الأفراد يجتمعون معاً لمناقشة القضايا العامة في الأماكن العامة كالمقاهي والنوادي وغيرها، وهذا المجال قد يكون اجتماعي أو سياسي. وبعدها تحول المجال العام مع ظهور وسائل الإعلام التي استبدلت التفاعلات الشخصية بنموذج آخر أحادي الاتجاه، أو بعبارة أخرى اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام الإذاعية بدلاً من المشاركة في المنظمات المجتمعية العامة، ولكن هابرماس أعرب عن انتقاده لتمثيل وسائل الإعلام للمجال العام، لأنه رأى أن تدفق المعلومات من خلالها يتم بشكل أحادي الاتجاه، لأنها لا تُعطي للجمهور فرصة حقيقية للمشاركة في الحوار والتفاعل.

■ مفهوم المجال العام: Public sphere

ينص مفهوم المجال العام على أنه: المساحة التجريدية التي يتناقش من خلالها المواطنون والجماعات المجتمعية المتباينة، ويتجادلون حول مختلف القضايا والاهتمامات العامة، ووفقاً لهذه الرؤية فإن المجال العام يفترض وجود مناقشات مفتوحة لكل الاهتمامات العامة، التي يمكن من خلالها أن يوظف الجدل العقلاني المنطقي للتأكد من تحقيق المصالح العامة، فالمجال العام يحث على حرية التعبير والحوار والمناقشة، ويؤكد على حق المشاركة بحرية في صنع القرار السياسي في المجتمع، ويشجع المهمشين على الانخراط في الحوار العام حول مختلف القضايا والموضوعات.

المحاضرة
التاسعة

وحدد هابرماس ثلاث سمات أساسية لتعريف المجال العام هي: أن المجال العام يتشكل من خلال المناقشات حول قضية أو موضوع ما، كما أنه يُتيح مساحة من الحرية بما يسمح للأفراد الذين تم استبعادهم من المشاركة في تلك المناقشات والتعبير عن الرأي، كما أن القضايا المطروحة عبر المجال العام يتم مناقشتها بُناءً على أهميتها بصرف النظر عن المكانة الاجتماعية للفرد المشارك.

- وأشار هابرماس أن نجاح المجال العام يعتمد على:
 - مدى الوصول والانتشار (قريبة من فكرة العالمية).
 - درجة الحكم الذاتي (يجب أن يكون المواطنون أحراراً، ويتخلصون من السيطرة والهيمنة والإجبار).
 - رفض الهيراركية (فكل فرد يشارك على قدم المساواة).
 - أن يكون دور القانون واضح وفعال.
 - المساواة في المشاركة.
 - وجود سياق اجتماعي ملائم.
 - الفهم والثقة والوضوح في المضمون الإعلامي.

■ كما تؤكد نظرية المجال العام على مفهومين أساسيين هما:

– مفهوم عدم انفصال الفرد عن الجماعة: فذات الفرد في المجال العام غير منفصلة عن الجماعة التي يستطيع الاندماج معها عبر الشبكة، فالفرد العقلاني المستقل هو لب فكرة المجال العام.

– تشتت الخطاب: فالخطاب المُقدم عبر ساحات النقاش حول المجال العام يتميز بقدر من التجزؤ، وأحيانا التشتت، ويمكن أن يعتمد على مقولات وأطروحات لا ترتبط ببعضها البعض ليعبر بشكل واضح عن فكر ما بعد الحداثة الذي يُعلي من قيمة الفرد في مواجهة المؤسسة.

- وأشار هابرماس إلى أهمية أخلاقيات الخطاب المُقدم عبر ساحات المجال العام، حيث يجب على أعضاء المجال العام أن يلتزموا بمجموعة من القواعد التي تمثل حالة الخطاب المثالي وهذه القواعد هي:
 - كل الموضوعات المطروحة للنقاش يجب أن تأخذ مساحة في المجال أو الخطاب.
 - يُسمح لكل شخص بطرح أسئلة عما يشاء من موضوعات.
 - يُسمح لكل شخص بتقديم الفكرة داخل الخطاب للنقاش.
 - يُسمح لكل شخص بالتعبير عن اتجاهاته، ورغباته، واحتياجاته.
 - لا يمنع أي متحدث عن طريق مصدر إكراه داخلي أو خارجي من ممارسة حقوقه المنصوص عليها في النقاط السابقة.

وهذه القواعد تعكس تمكن الفرد؛ بحيث لا تستطيع مؤسسات مثل الحكومة، أو المؤسسات الوظيفية، أن تؤثر على ما يقوله الشخص أو يسأل عنه.

■ فروض نظرية المجال العام:

تفترض نظرية المجال العام ألا يكون هناك أية قيود من قبل السلطة السياسية التي تحد من العملية

التفاعلية داخل المجال العام، وأشار هابرماس أن هناك أربع افتراضات لتشكل المجال العام وهي:

■ **الفرض الأول:** إتاحة حيز ما للأفراد، يمكنهم من المناقشة والحوار حول القضايا الهامة، وتبادل

المعلومات والآراء، بُناءً على مبدأ المساواة، فالمستوى الاجتماعي والاقتصادي لديهم لم يمثل

شرط من شروط المشاركة في الحوار.

■ **الفرض الثاني:** يرى أن كثرة وتعدد الجماهير في مجالات عامة متعددة يبتعد عن فكرة المجال

العام الديمقراطي الذي ينبغي أن يكون مجال عام واحد شامل يربط بين جميع الأفراد في المجتمع.

■ **الفرض الثالث:** يرى أن النقاش الذي يتم في المجال العام، ينبغي أن يقتصر على الاهتمام بالحوار عن القضايا العامة الشائعة المعنية بالصالح العام.

■ **الفرض الرابع:** أن إطار العمل الديمقراطي للمجال العام يتطلب انفصال تام بين المجتمع المدني والدولة.

كما تفترض النظرية وجود أربع سمات رئيسية تميز الاتصال عبر ما أطلق عليه هابرماس المجال العام وهي: القدرة على الوصول إلى دائرة الاتصال، والحرية التي يتمتع بها الأفراد في الاتصال داخل هذه الدائرة، وبنية المناقشة، وطرح خطاب مُبرر بأدلة إقناعية محددة.

■ الانتقادات الموجهة لنظرية المجال العام:

تعرضت رؤية هابرماس حول المجال العام إلى العديد من الانتقادات والتي جاءت على النحو التالي:

– أن نظرية المجال العام تنطبق على فترات بعينها من التاريخ الأوروبي، قبل أواخر القرن الثامن عشر، وهذا بدوره جعل من تصور هابرماس للمجال العام ضيق للغاية.

– ركز هابرماس في تكوين المجال العام على الطبقة البرجوازية، وتجاهل الطبقات الشعبية الأخرى التي وُجدت من القرن السابع عشر للقرن التاسع عشر، مثل طبقة العمال، والبوليتاريا، فقد شمل المجال العام المتعلمين والأغنياء، واستبعد المرأة والجماعات المهمشة، وبالتالي لم تكن هناك فرص متساوية في التعبير.

أن تطور النظام الرأسمالي قد كشف عن العديد من المشكلات التي ترتبط برؤية هابرماس للمجال العام، ، فالبرجوازية التي استخدمت المجال العام كوسيلة للتحرير والتغيير السياسي، تُظهر الآن ميلاً إلى تكييف المجال العام مع الظروف المتغيرة من أجل إخفاء التناقضات القائمة بين مصالحها الخاصة ومصالح المجتمع العامة، أضف لذلك أنه بمجرد ظهور التناقضات الاجتماعية داخل المجال العام، فإن الحوار يفقد سمة المناقشة العقلانية الخالية من السلطة والسيادة، وهنا تظهر عملية اختراق ما بين كل من الدولة والمجتمع وبشكل متزايد وبالتالي فإن هذا الاختراق يُدمر أساس المجال العام الليبرالي.

– أن هابرماس قدم صورة مثالية مُبالغ فيها عن المجال العام البرجوازي، باعتباره قائم على المناقشات العقلانية المنطقية، وتجاهل اللاعقلانية التي تُؤثر على المناقشة، كما أن الخطابات المقدمة عبر هذا المجال تُعبر عن السلطة الاجتماعية للمشاركين المحملة بأيديولوجياتهم مثل النُخب الثرية والبرجوازيين؛ مما يتولد عنه خطابات مهيمنة تعبر عن المصالح الخاصة بالفئات الاجتماعية الأكثر نفوذاً، فهو يمجّد المجال العام باعتباره عالم تواصل ذاتي قائم على التفاعلات التواصلية.

– أن مصطلح الفصل بين المجالين العام والخاص هو إجراء تعسفي، فالمجال العام يتشكل عبر المجالات الخاصة، كما أن المجال الخاص يتكون من المجالات العامة، ونجد أن بناء المجال الاجتماعي يعتمد على التفاعل والتكامل بين المجالات العامة والخاصة أيًا كانت درجة الاختلاف داخل هذا الهيكل الاجتماعي المُشكل، فترابط النظام الاجتماعي ينبع من ترابط الأعمال الاجتماعية بداخله، فالأعمال متعددة السياق تتجاوز التفرقة بين الجمهور العام والخاص، وبالتالي تُسهم في البناء الاجتماعي متعدد الأقطاب لهذا الواقع الاجتماعي.

– انتقد كلٌّ من Fraser and Calhoun فكرة المجال العام الواحد الشامل التي طرحها هابرماس موضحاً أن المجال العام يقوم على فكرة الجماهير المتعددة (Multiple Public)، باعتبار أن الجماهير ذات قطاعات متنوعة ولها خصائص وأيديولوجيات مختلفة، مما ينتج عنه تنوع في محاور وموضوعات المناقشات التي تتم عبر المجال العام والتي تعكس اهتماماتهم الخاصة، فالتفاوت الاجتماعي داخل النظم الرأسمالية لا يخلق مجالاً عاماً واحداً، بل مجالات عامة مختلفة ومتنوعة.

وأمام هذه الانتقادات أعاد هابرماس النظر التعريف الذي قدمه للمجال العام في الطبعة الجديدة لكتابه 1992 l'espace public، إذ أقر فيه أن المجال العام كان متنوعاً منذ نشأته الأولى، وأنه تجاهل وجود مجال عام شعبي يضم الطبقات الدنيا من المجتمع إلى جانب المجال البرجوازي.



■ نظرية المجال العام في السياق الافتراضي:

مع تطور وسائل الاتصال وظهور شبكة الإنترنت، برز على الساحة مجال عام جديد جعل الأفراد يصلون بشكل مباشر لمنتدى عالمي يمكنهم من التعبير الحر، والمناقشة المفتوحة دون وساطة أو اختيار أو رقابة، وأوضح (Lincoln Dahlberg) أن آلاف المحادثات المتنوعة التي تُجرى عبر الإنترنت يومياً، والمتاحة لكل فرد يمكنه الوصول إليها، تُشير إلى توسيع النطاق العالمي للخطاب العقلاني عبر الشبكات المتحررة فيما يعرف بالمجال العام، كما أكد Cones عام 1997 أن الإنترنت روج لمجال عام جديد سهل عملية التداول، والمناقشات، والتبادل الديمقراطي للأفكار والآراء، ووصفه بأنه فضاء افتراضي يُحسن عملية الديمقراطية، ولا يختلف هذا عما طرحه هابرماس في أن المجال العام هو مجال حياتنا الاجتماعية، ويحدث عندما يدخل الأفراد في تفاعل إنساني عقلائي.

وتؤكد نظرية المجال العام على أن وسائل الإعلام الإلكترونية وبصفة خاصة شبكة الإنترنت تخلق حالة من الجدل بين الجمهور؛ تؤثر على الحكومات والجماهير والنخب، ومنذ انتشار الإنترنت والبعض يتحدث عن الديمقراطية الإلكترونية (electronic democracy)، والمجال العام الإلكتروني Electronic Public sphere، فالديمقراطية الإلكترونية تعني استخدام وسائل الاتصال التكنولوجية المتقدمة في تدعيم العملية الديمقراطية، وأحياناً ما تُستخدم عبارات أخرى لوصف الديمقراطية الإلكترونية مثل "الديمقراطية الرقمية" (Digital Democracy) أو "التكنو ديمقراطية" (Techno democracy)، وما زالت الديمقراطية الإلكترونية محل بحث ونقاش بين الحكومات والجماعات المدنية حول العالم.

- وقد عرف (G. Liu 1999) المجال العام الافتراضي بأنه: مجال مُشترك مفتوح لجميع الأفراد في المجتمع، يُتيح لكل فرد الوصول إليه للمشاركة والتفاعل مع الآخرين.

- ووصف Poor 2005 المجال العام الإلكتروني بأنه: "وسيط لفضاء استطراذي جديد يضم الأفراد المستبعدين والمهمشين الذين يقدمون خطابات مفتوحة ويعرضون قضايا سياسية تهيمن عليها أجندة النقاش والحوار، بحيث يتم الحكم على الأفكار طبقاً لجدارتها وليس عبر مكانة الشخص المُتحدث.

- ومع بروز شبكات التواصل الاجتماعي (SNS) التي أصبحت وسيلة فعالة لمنظمات المجتمع المدني، بما تنطوي عليه من تعدد للجهات الفاعلة ما بين مواطنين عاديين ونشطاء سياسيين ومنظمات غير حكومية، بالإضافة إلى المسوقين والمبرمجين إلى جانب الحكومات الإلكترونية، حيث تبنت هذه المنظمات سبلاً للحوار والمناقشة عبر الفضاء الإلكتروني Cyber space، وإلى جانب هذه المناقشات الافتراضية، كان هناك مستوى واسع من النشر يعمل من خلاله الأفراد وأعضاء المنظمات على تسهيل المداولات العامة، حيث تقوم الآلاف من الجماعات المدنية النشطة لتداول قضية ما، وإثارة الجدل حولها، على المستوى المحلي، والقومي، والعالمي، ويمكن ملاحظة ذلك في كيفية توظيف المعلومات إلى جانب المناقشات الافتراضية التي أثارت جدلاً واسعاً واحتجاجات على العولمة الرأسمالية.

- وأدى استخدام مواقع التواصل الاجتماعي (كالفيس بوك، لينكد إن، تويتر، ويوتيوب، فليكر، وانستجرام) في المناقشات العامة وخاصة في المجال السياسي، إلى تعزيز الحريات، من خلال حرية الخطاب الذي يقدمه المشاركون عبر هذه الأدوات التي تعمل على طرح جميع الآراء دون قيود، كما مكنت المستخدمين من الحصول على المعلومات بسهولة وفي أقل وقت ممكن، كما مكنتهم أيضاً من تبادل الأفكار ومناقشتها وتكوين ما يُعرف "بالرأي العام الإلكتروني"، وعملت على تعزيز الديمقراطية، وتمكين مشاركة المرأة في الحياة العامة والسياسية، ففي العالم العربي كان غالبية قادة الرأي من الذكور، لذا كان من المتوقع عدم مشاركة المرأة في الخطاب السياسي، ومع ذلك فقد ساهمت الشبكات الاجتماعية في توفير فرص متساوية للمرأة للتعبير عن آرائها بحرية.

■ معايير تكون المجال العام الافتراضي:

اقترح (Lincoln Dahlberg 2011) مجموعة من المعايير لتشكل المجال العام الافتراضي وهي:

– الاستقلال عن الدولة والمصالح الاقتصادية Autonomy from state and economic power:
فالخطاب المقدم عبر المجال العام يجب أن يتبنى اهتمامات المواطنين ومشكلاتهم كبديل لما تُقدمه السلطة الإدارية.

– تبادل النقد على أسس منطقية عقلية Exchange and critique of criticizable moral-practical
validity claims: بحيث يتم المشاركة في الخطاب بُناءً على النقد العقلاني المبرر بأدلة اقناعية.

– الانعكاسية Reflexivity: فعلى المشاركون أن يطرحوا رؤيتهم ووجهات نظرهم النقدية لقيمهم الثقافية،
والافتراضات والمصالح عن السياق الاجتماعي الأوسع، كما أن الانعكاسية يصعب اكتشافها بسهولة في
تفاعلات الإنترنت لأن ردود الأفعال ووجهات النظر تقدم في شكل مكتوب، مما يصعب من حمل الأفكار
والآراء إلى الآخرين مقارنة بالتفاعلات وردود الأفعال الواقعية

- تقمص الدور المثالي Ideal role-taking: يتمثل هذا الدور المثالي في أن الفرد أو المشارك يضع نفسه مكان الآخرين، من أجل محاولة فهم حُجج ووجهة نظر المشاركين الآخرين، وهذا يتطلب التزام جميع الأطراف، والاستماع لبعضهم البعض لاستمرار المناقشات فيما بينهم.
- الإخلاص Sincerity: فعلى المشاركين أن يبذلوا جهداً صادقاً لنقل المعلومات الصحيحة، ويعلنوا عن نواياهم واهتماماتهم واحتياجاتهم ورغباتهم فيما يتعلق بمشكلة تكون بعين الاعتبار.
- المساواة الاستطردادية والإدراج Discursive inclusion and equality: إن الإدراج في المحادثات عبر الإنترنت مرتبط بالتباينات الاجتماعية والاختلافات الثقافية خارج الإنترنت، فعلى الرغم من هذا الاختلاف، إلا أن الأفراد متساوون من حيث فرص التفاعل، لأن الفيصل في المجتمع الافتراضي هو قوة (Cyber power) وليست القوة الواقعية، حيث يكون لكل شخص فرص متكافئة في التعبير عن اتجاهاته ورغباته أياً كانت.

■ معوقات المجال العام الافتراضي:

على الرغم مما وفره الإنترنت من إمكانيات في طرح المجال العام الافتراضي؛ إلا أن هناك وجهات نظر أعربت عن انتقادها للمجال العام المُشكل عبر الإنترنت، وذلك للأسباب التالية:

الأول: يتمثل في هيمنة الشركات الاقتصادية على الإنترنت عبر مواقعها الإخبارية وبواباتها الضخمة من خلال قيام المؤسسات الإعلامية الكبرى بنشر مادتها عبر الإنترنت، فهذه المواقع تحد من قدرة الفرد على إنتاج خطاب عقلاني يُمثل أساس تشكيل المجال العام.

الثاني: يُشير إلى السيطرة على المحتوى المُقدم عبر الإنترنت من قبل الشركات الخاصة التي تتحكم في البرامج والإدارة وغيرها، فإن التوسع في ملكية الشركات الخاصة على الإنترنت، والسيطرة على تطبيقاته وبرامجه؛ تؤدي إلى تحويل المجال العام الإلكتروني تدريجياً من ساحة حرة مفتوحة إلى ساحة مغلقة تجارية قائمة على أنظمة التحكم، فهؤلاء يسعون إلى الهيمنة على الخطاب المُقدم عبر ساحات المجال العام الافتراضي.

كما حذر (Gordan Graham) من شدة التفاؤل حول قدرة الإنترنت على التغيير وتطوير المجال العام أو تعزيز الديمقراطية، فإذا كانت شبكة الإنترنت لديها المقدرة على كسر حاجز نشر المعلومات، فإن هذا سيؤدي إلى مزيد من الآراء المنشورة، وبالتالي فإن أي رأي سيضيع بين زحمة الآراء، وسيصعب لأي شخص وقتئذٍ التأثير على العملية الديمقراطية، كما سيؤدي ذلك أيضاً إلى المزيد من إضعاف قدرة الرأي الفردي على التأثير في عملية صناعة القرار أو صناعة الأحداث السياسية؛ بسبب حالة التزاحم الشديدة بين الآراء الفردية.

وأشار (Dahlberg 2001) لضعف الانعكاسية عبر المجال العام الافتراضي، نظراً لصعوبة معرفة ردود الأفعال في تفاعلات الإنترنت لأنها تُقدم في شكل مكتوب، إضافة إلى أن هناك استثناءات واسعة من قبل بعض منتديات الإنترنت تنجم عنها عدم المساواة الاجتماعية، هذا إلى جانب سيطرة بعض الأفراد والجماعات كمياً ونوعياً على الخطاب المقدم عبر ساحات المجال العام الافتراضي.

من خلال ما سبق نجد أن المجال العام يُتيح للأفراد إمكانية الاتصال والتفاعل وتبادل الآراء والمعلومات ومناقشاتها بُناءً على نقد عقلائي مُبرر بأدلة اقناعية عبر ساحات فعلية أو افتراضية، وهنا نجد أن الإنترنت بشكل عام والشبكات الاجتماعية بشكل خاص نجحت في تشكيل مجال عام افتراضي يُمكن المستخدمين من ممارسة ديمقراطية إلكترونية تشجعهم على المشاركة في التداول والحوار الديمقراطي (Democratic deliberative) الذي يتسع للأصوات المختلفة لتبادل المعلومات والأفكار وتُعبّر عن وجهة نظرها إزاء القضايا السياسية والعامة، وهذا ما تفترضه نظرية المجال العام .

Media Richness Theory

(2) نظرية ثراء الوسيلة

بلور النظرية الباحث ريتشارد دافت Daft.L. وروبرت لينجيل Lengel,H في تطبيقاتها عام 1984 في مجال "الاتصال التنظيمي". وبعدهما تم تجريبيها من خلال مئات الدراسات الأجنبية والعربية حيث تعظم دورها مع التوظيف الجديد للصحافة ووسائل الاتصال الرقمي.

وتصف نظرية ثراء وسائل الإعلام Media Richness Theory دراسة معايير الاختيار بين الوسائل الإعلامية التكنولوجية، وفقاً لدرجة ثرائها المعلوماتي، وتوضح أن فعالية الاتصال يعتمد على القدر الذي تستخدم به الوسيلة، وتركز بشكل أكبر على الأشكال التفاعلية للاتصال في اتجاهين بين القائم بالاتصال والجمهور المستقبل للرسالة، وطبقاً للنظرية فإن الوسائل الإعلامية التي توفر رجع الصدى تكون أكثر ثراءً، فكلما قل الغموض كان الاتصال الفعال أكثر حدوثاً، فثراء المعلومات يقوم بتخفيض درجة الغموض وإيجاد مساحة من المعاني المشتركة باستخدام وسيلة اتصالية معينة.

وتتنص نظرية ثراء وسائل الإعلام أيضا على أن جميع قنوات الاتصال تملك خصائص معينة تجعلهم أقل أو أكثر ثراء، وأحد أهم أهداف اختيار وسيلة الاتصال هو تقليل غموض الرسالة. فإذا كانت الرسالة غامضة فأنها تكون غير واضحة، وبالتالي أكثر صعوبة على مستقبل الرسالة لفك شفرتها، وبالتالي تزداد الحاجة إلى الإشارات والمعطيات اللازمة لفهمها.

وتضع نظرية ثراء وسائل الإعلام وسائل الاتصال على مقياس متواصل، يمثل ثراء الوسيلة وقدرتها على توصيل رسالة معقدة بكفاءة على سبيل المثال، رسالة بسيطة معدة لترتيب موعد ومكان لقاء يمكن نقلها من خلال رسالة قصيرة عبر البريد الإلكتروني، بينما رسالة أكثر تفصيلاً عن أداء عمل شخص ما والتوقعات حوله يكون الأفضل نقلها من خلال الاتصال المباشر وجهاً لوجه.

وقد أدى ظهور وسائل الإعلام الجديدة
New Media إلى إحداث تغير في مفهوم
الثراء، فمميزات الوسيلة اقترنت بقدرتها
على توصيل المعلومة ودورها في حمل
الرموز الاتصالية، وأسلوب عرضها
وتقديمها، وطريقة توصيلها، وثراء الوسيلة
أضحى له معايير جديدة تقوم على التطور
التقني للوسيلة من جهة، والخدمات التي
يقدمها هذا التطور من جهة أخرى.

عناصر الثراء
ومظاهره

الجودة - التعرض
الملاءمة للمهمة - الثقة
سرعة الفهم - الاستمرارية
الرضا عن المحتوى
التفاعلية - النقاش
التزامنية - التوافق
الصوت والصورة
التجربة السابقة
يسر الولوج والثواب
الشعور بالذات
الرضا عن الوسيلة

ترتيب الوسائل
من الأكثر ثراء
إلى الأقل

الاتصال الشخصي
مؤتمرات الفيديو
الدرشة بالصوت والصورة
الهواتف..
الراديو ثنائي الاتجاه
لوحات المدونات
المراسلات اللحظية
الدرشة chat
الاتصال الموجه المكتوب
الاتصال غير الموجه المكتوب
الصحف النشرات البيانات

■ وتفترض هذه النظرية فرضين أساسيين هما:

الفرض الأول: أن الوسائل التكنولوجية تمتلك قدراً كبيراً من المعلومات، فضلاً عن تنوع المضمون المقدم من خلالها، وتستطيع هذه الوسائل التغلب على الغموض والشك الذي ينتاب الكثير من الأفراد عند التعرض لها.

الفرض الثاني: هناك أربعة معايير أساس لترتيب ثراء الوسيلة، مرتبة من الأعلى إلى الأقل من حيث درجة الثراء وهي سرعة رد الفعل، وقدرتها على نقل الإشارات المختلفة باستخدام تقنيات تكنولوجية حديثة مثل الوسائط المتعددة، والتركيز الشخصي على الوسيلة، وسرعة رد الفعل، واستخدام اللغة الطبيعية.

■ تقوم نظرية ثراء الوسيلة على أربعة معايير ذاتية رئيسية وهي:

أ. **مقياس سرعة رجع الصدى: Feed Back** فالوسيلة التي تملك بطبيعتها عملية رجع الصدى مثل الاتصال الشخصي، أو توفره بسرعة مثل المواقع الإلكترونية، أو تتسع بها دائرة المشاركة والتفاعلية، مثل التواصل الاجتماعي التي يكاد يتحول فيها المتلقي إلى مرسل في مواقف عدة.. هذه الوسائل في هذه الحالة تمتلك معياراً هاماً للثراء.

ب. **تعدد الرموز: multiple cues** فوسيلة مثل الراديو تعتمد على الكلمات المسموعة، ووسيلة مثل التلفزيون تجمع بين الكلمات والصور والألوان والحركة.. المقصود هنا أنه كلما تعددت رموز الوسيلة في حمل المعلومات، كلما ارتفع ثراء الوسيلة.

ج. **تنوع اللغة: Language Variety** هي الرمز الأكبر لتعبير الوسيلة عن محتواها الاتصالي، حيث تتنوع اللغة من حيث الكلمات والجمل والتعليقات وبناء الرسالة والحذف والإضافة والإيجاز والإطناب وغيرها من عمليات بناء وتفسير المعاني الذي صار كما قد يقول الباحثون عملية تجعل بناء المعاني والكلمات يساوي بناء الإعلام والمجتمعات.. والمقصود أن قدرة الوسيلة على تنوع اللغة يحدد مستوى الثراء.

د. **التركيز الشخصي Personal Focus** من المتلقي في الوسيلة ومحتواها يُعد من معايير الثراء الهامة. والثراء هنا يقاس بقدرة الوسيلة على الاستحواذ والفهم الشخصي والذهني للمتلقي، وعدد الحواس التي تتعامل بها الوسيلة، فتعاملها مع الأذن فقط أقل ثراء من التي تتعامل مع الأذن والعين وغيرها من خلايا الإحساس البدني والإدراكي، وكذلك الخبرة بين المرسل والمتلقي باعتباره شريكاً في عمليات الاتصال، وحجم معرفة كل طرف بالآخر وتركيزه فيه.

■ الثراء والمنصات الإلكترونية:

الخصائص الإلكترونية، رفعت ثراء الوسيلة وقد ظهر ذلك من خلال عدة خصائص:

- **التواصل الفوري:** المنصات الحديثة قادرة على التراسل الفوري بين عناصر الاتصال خاصة المرسل والمتلقي، والنتيجة العلمية أن إدراك المتلقي الفوري يرفع اعتقاده بثراء الوسيلة وقدرتها على التأثير.
- **قدرة التزامن:** رغم أن الإعلام الجديد يتسم في الأساس باللا تزامن أي عدم حاجة أطراف عملية الاتصال بالتواجد في مكان أو زمان واحد للإرسال والاستقبال، فإن المنصات الرقمية صار من قدراتها الذاتية خصوصية التزامن Asynchronization أي تواجد أطراف عملية الاتصال في زمان ومكان واحد، على الأقل في سياق البيئة العامة، فالاتصال هنا يقارب جُل العناصر في جُل القضايا في جُل الأزمنة والأمكنة وبين الأفراد وبين الإنسان ذاته.

خاتمة ➤

نهاية نظريات الإعلام التقليدي في ظل الدعوة إلى تبني نظريات خاصة بظاهرة الميديا الجديدة ليس بهذه البساطة، فليس من الممكن وضع نهاية للإعلام الجماهيري ونظرياته نتيجة ظهور الإعلام الجديد وتطوره، فلا يمكن النظر إلى وسائط الاتصال ضمن أفق إقصائي (الجديد يقصي القديم)، ولا في إطار تكاملي (الجديد يكمل القديم)، ولا ضمن تطور تنافسي (الجديد ينافس القديم)، فالحدود الفاصلة بين الجديد والقديم في عالم الاتصال اليوم تسير نحو الإمحاء، وسيكون المستقبل لوسائط الاتصال الهجينة التي تجمع أنماط الاتصال المختلفة، (المكتوبة، والسمعية)، و(السمعية، البصرية)، مستفيدة من القديم المدغم في الجديد، وعليه قد يحدث تكامل بين نظريات الإعلام التقليدية والحديثة؛ نتيجة النظر إلى الإنترنت كداعم جديد لا كوسيلة جديدة تجلب أشكالاً استهلاكية مختلفة للنمط المعلوماتي وتختلف عن الأشكال التقليدية، وتعطي قدراً أكبر من الاختيار أمام مستخدميها إزاء خدمات أكثر شخصية وفردية، وتضع في الاعتبار تفرد المستهلك واختلاف تفضيلاته.

➤ قائمة المصادر والمراجع :

- رضا عكاشه، تأثيرات الإعلام " نظريات ونماذج الاتصال في مجال المنصات الرقمية"، ط4، يناير 2020.
- هاجر حلمي حبيش، تطبيقات الصحف بالهواتف الذكية وعلاقتها بمستوى معرفة المراهقين بالأحداث الجارية (دراسة ميدانية على عينة من طلاب المرحلة الثانوية)، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد الثامن عشر إبريل 2019، ج2
- أماني المهدي، المجال العام من الواقع الفعلي إلى العالم الافتراضي: معايير التشكل والمعوقات، المركز الديمقراطي العربي، 2018



مجموعة جامعة
الجميع الذكية
للتعليم القابضة

MIDOCEAN
UNIVERSITY



Thank You

